

مجلة أنثروبولوجية (الأويان) المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197

EISSN/2676-2102

زوايا الغرب الجزائري بين الممارسة الطقوسية والمدارس التربوية

مقاربة أنثروبولوجية

Sufi methods in the Algerian West between ritual practice and educational practice

Anthropological approach

طالب الدكتوراه: لعور كمال¹، المشرف الدكتور: مصطفى أوشاطر

Doctoral student : laouer kamel. Supervisor : Dr.Mustafa Oshater

قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، البريد الإلكتروني: kaman.dani@yahoo.fr

. Department of History .Abu Bakr University of Tlemcen

أستاذ التعليم العالي، قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

البريد الإلكتروني: ouchater_mus@yahoo.fr

Professor of higher education. Department of History .Abu Bakr University of Tlemcen

تاريخ القبول: 2020/05/04

تاريخ الارسال: 2020/03/29

ملخص:

سعيًا في هذا المقال منصب على تفهم الزاوية وعملها الميداني في المقام العلمي والتربوي، وكذا في المجال الطقوسي التبركي، على مستوى الغرب الجزائري، كيف استطاعت أن تعكس هذين المجالين رغم أنهما في الظاهر يتضاربان، ويختلفان، فالتربية والتعليم سلوك عقلي علمي جدلي، والطقوس الممارسة ذات بعد عاطفي انفعالي تسليمي، كما نحاول استبيان محاولات زوايا الغرب تحديث معاقلها للخروج من قيد الطقوس، والانفتاح على رحابة العلم والعالمية كما هو ماثل في الزاوية البلقايدية بوهران و الزاوية العلوية بمستغانم. ويحق لنا التساؤل في هذا المقام: هل قامت الزوايا بتحديث نفسها أم ظلت سائرة على الطريقة التقليدية، هل مارست تطويرًا لنظامها أم قيدها الدور القديم؟ وهل الطقوس الفولكلورية الممارسة فيها مجرد أشكال طوطمية تقليدية ماضوية أم أن لها آثار بارزة على المجتمع، ما اسهامات الزاوية البلقايدية بوهران والزاوية العلوية في تحديث التعليم الطريقي؟

¹ المؤلف المرسل: لعور كمال، kaman.dani@yahoo.fr

كلمات مفتاحية: الزاوية، الوعدة، التدين الشعبي، أنثروبولوجيا، التربية الدينية

Abstract :

In this article, we sought to understand the mysticism and its field work in the scientific and educational aspect, as well as in the liturgical ritual domain, at the level of the Algerian West, How did she manage to reflect these two areas even though they appear to be in conflict and differ, for education is a mental, scientific, dialectical behavior, and the rituals are of an emotional and surrender dimension

We also try to identify attempts by the Sufi ways of the West to modernize their strongholds to get out of the ritual limitation, and to open up to the vastness of science and universality, as is the case in the Balkadid corner of Oran and the upper corner of Mostaganem. We have the question: Did Al-Zawaya modernize itself or remained in the traditional way, did it practice developing its system or restricting it to the old role? Are the folkloric rituals practiced in them merely traditional past totem forms or do they have prominent implications for society?

Keywords : The Sufi way, the promise, populist religiosity, anthropology, religious education.

مقدمة:

مارست الزوايا الدينية في الجزائر عموما وفي الغرب الجزائري على الخصوص أدوارا اجتماعية مختلفة، فقد كانت معاقلا للجهاد في العهد الاستعماري، ثم سلكت في القرن العشرين مجال العلم والتنوير، وانشغلت بالطقوسي أيضا، وبالاحتفاليات المولدية والوعادات التي كادت تغلب توجهها العلمي، وظهرت بعض الطرق على الصعيد الاجتماعي داعية للتحديث والتجديد فكان لبعضها مطبعة وصحيفة في العهد الاستعماري كحال الزاوية العلوية بمستغانم، واستمر الوضع بعد الاستقلال، ونفترض أن الزوايا هي في الأصل منارات للدين والتعبد والجهاد، ونفترض أن الممارسة الطقوسية دخيلة عليها لأنها لها علاقة بمحاولة الاستعمار تقليص دورها الجهادي وإغراقها في الجمود حتى لا تستحيل منارات للعلم، وإن كان هذا الأمر مبررا في وجود الاستعمار، كيف يستمر بعد نصف قرن من الاستقلال، من أهداف هذا البحث معرفة كيف استطاعت بعض الزوايا تجاوز الطقوسي إلى العلمي والعالمي، وتراجعت أخرى عن أداء هذا الدور وتمسكت بنمطها القديم، في محاولة استكشاف ان كان للطقوسية ما يبررها في عصرنا الحالي.

أولاً: أهمية الأنثروبولوجيا في دراسة الجماعات الدينية:

بات واضحاً أن الأنثروبولوجيا، تدرس الإنسان/ الفرد وأعماله ضمن النوع البشري، وما طرأ عليه من تغيير أو تطور نحو الأفضل، سواء في عضويته أو في مظهره الخارجي، وذلك بتأثير الظروف الطبيعية والاجتماعية المحيطة به.. إضافة إلى دراسة الإنسان من طبيعته الاجتماعية بصفته عضواً في جماعة بشرية (مجتمع بشري)، حيث يشارك علم الأنثروبولوجيا العلوم الإنسانية الأخرى، أي أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصة تدرس المجتمعات الصغيرة وشبه البدائية التي تشكل نسيجاً اجتماعياً بسيطاً ومحدوداً بفنونها واقتصادها، وحيث تسود الأمية والأعمال اليدوية الأولية، وتتابع تطورها، وصولاً إلى دراسة المجتمعات الحديثة والمعقدة في نسيجها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. (الشماس، 2004، صفحة 14)

وبالتالي فإنه من المفيد أن نعود إلى تعريف المفكرين والفلاسفة للاقترب من مفهوم الأنثروبولوجيا، وفي هذا السياق تقول العالمة الأنثروبولوجية الأمريكية "مرغريت ميد" نحن نصنف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، والثقافية للنوع البشري، عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كم نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعنى أيضاً ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته، ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظرية التطور أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر (معرش، 2017، صفحة 20)

ففي انكلترا مثلاً، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية، مع ميل خاص على دراسة الشعوب البدائية، أما في أمريكا، فيرى العلماء أن الأنثروبولوجيا، هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح، دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي العضوية.

فعلم الأنثروبولوجيا بالتالي ينصب اهتمامه على كائن واحد، هو الإنسان، ويحاول فهم أنواع الظواهر المختلفة التي تؤثر فيه.. في حين تركز العلوم الأخرى اهتمامها على أنواع محددة من الظواهر أنى وجدت في الطبيعة، "وكان علم الأنثروبولوجيا ومازال يحاول فهم كل ما يمكن فهمه أو معرفته عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين، وكذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة". (الشماس، 2004، صفحة 14)

وتأسيسا على ما تقدم، فإن الأنثروبولوجيا هي العلم الذي يدرس الإنسان، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة، وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، وفي الوقت ذاته يدرس السلوك الإنساني ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي بوجه عام، فلا تهتم الأنثروبولوجيا بالإنسان الفرد، كما تفعل الفيزيولوجيا أو علم النفس، وإنما تهتم بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس، وتدرس الناس في أحداثهم وأفعالهم الحياتية. (الشماس، 2004، صفحة 15)

وإذا كان علم الأنثروبولوجيا بدراساته المختلفة، قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوره الثقافي والحضاري، فإن أهم ما أثبتته هو، أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه إلى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية. (الشماس، 2004، صفحة 16)

يؤكد "مالينوفسكي" أنه لا يمكن الوصول إلى فهم عميق ودراسة مركزة وشاملة لثقافة جماعة ما، ما لم يقوم الباحث بالاتصال المباشر والمعايشة اليومية لسكان المجتمع موضع الدراسة، ولا يكفي أن يذهب الباحث إلى منطقة الدراسة كزائر ثم يعاود زيارته إلى القبيلة أو الأفراد الذين يصف حياتهم بل يجب على الباحث أن يندمج مع الجماعة التي يدرسها اندماجا كليا، ويعيش حياتهم بقدر الإمكان بحيث يستطيع ملاحظة مظاهر نشاطهم اليومي، ويتابع حياة الجماعة من داخل الجماعة وليس من خارجها، ويقترح "مالينوفسكي" أنه لا بد من أن يقضي الباحث عاما كاملا على الأقل في مجتمع الدراسة حتى يتسنى له ملاحظة وتسجيل أوجه نشاط الجماعة في الفصول المختلفة وعلى مدار السنة (فهيم، 1986، صفحة 175)

لا ريب إن العمل الميداني هو النشاط المفضل لدى الأنثروبولوجيين، لأن البحث في جميع الحقول الدنيا للأنثروبولوجيا يجري تتبعها في معظم الأحيان في أماكن نائية وبلدان قسوية، في إفريقيا أو القطب الشمالي أو جنوب المحيط الهادي، أو القطب الشمالي أو جنوب المحيط الهادي، إن المرحلة الأولى للباحث الأنثروبولوجي ولا سيما إذا كان يتناول مجتمعا بدائيا بعيدا عن المدن والحضارة تعد طقس بدء عمل لن يعود بعده أبدا كما كان سابقا مرة أخرى.

يمكن أن يقال حقا أن أولئك القلة من الأنثروبولوجيين الذين يركزون على البحث في المكتبة ويتحاشون مخاطر العمل الميداني وصرامته يزدريهم بقية أعضاء المهنة (بيلتو، 2010، صفحة 55)

أما الأنثروبولوجيون المعاصرون اليوم فهم يهتمون بدراسة جميع أشكال المجتمعات الصغيرة والكبيرة، الريفية والحضرية، البدوية والقبائلية وغير ذلك، حقيقة إن الدراسة الحقلية بالمعنى الحديث قد بدأت في بداية القرن العشرين، وركزت على تلك المجتمعات المنعزلة البعيدة عن الحضارة الأوروبية إلا أن الأمر قد تغير الآن، وأصبح الأنثروبولوجيون منتشرين في كل مكان، وعلى كافة المستويات في محاولة لفهم السلوك الانساني في إطار مترابط ومتكامل، وذلك عن طريق المعرفة الحسية، والاتصال المباشر بالأفراد والأحداث، هذا من ناحية، أما من ناحية صلة الأنثروبولوجيا بالاستعمار، فهذا واقع لا ينكره أحد.

وهذا ما يجب أن تؤسس له الدراسات الأنثروبولوجية العربية المعاصرة، بحيث تظهر بجلاء تلك العلاقة بين الحضارة العربية والحضارة الإنسانية، ومن جوانبها المختلفة، بعيدا عن الأحكام المسبقة، والأخذ بالفكر الأنثروبولوجي النقدي والمقارن، وتطبيق ما يمكن تطبيقه من نظريات الأنثروبولوجيا، بما يتناسب مع طبيعة المجتمع العربي، وتركيبته التاريخية (الديمغرافية والثقافية) (الشماس، 2004، صفحة 175)

ومع أن الأنثروبولوجيا قد اتخذت اتجاهها تحريا واستقلاليا من أكثر من ستة عقود إلا أن هذا لا يمنع من احتمالات استخدام نتائج الدراسات الأنثروبولوجية استخداما سيئا أو ضارا بالشعوب موضع الدراسة. فالأنثروبولوجيا مثل أي علم أو منيع للمعرفة سلاح ذو حدين. (فهيم، 1986، صفحة 262) زعم أن علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين على وجه الخصوص سلموا على نحو سلمي باضطهاد السكان الأصليين في افريقيا وآسيا والمنطقة الأفيانوسية، حتى أنهم تعاونوا بفاعلية مع الإدارات الاستعمارية مقابل الحصول على التمويل للبحث العلمي (نيلسون، 2013، صفحة 87)

فيما عدا ذلك، لا يزال يعتقد أن الأنثروبولوجيا البريطانية مالت إلى أن تواصل اهتمامات بحثية تبرر بصورة مباشرة أو غير مباشرة المشروع الاستعماري، ويبدو على سبيل المثال أن الاهتمام بالتنظيم السياسي في افريقيا ليكون الصنو التام بالنسبة لإدراي الحكم غير المباشر (نيلسون، 2013، صفحة 88)

لقد سخرت المنظومة الكولونيالية الأنثروبولوجيا وعلماءها لأغراض استعمارية بحتة، حيث تم استغلال واستثمار أبحاثهم من أجل معرفة عقلية الشعوب ومظاهرها الثقافية المادية والمعنوية السلوكية، لقد تفتنت المنظومة الفكرية والسياسية الاستعمارية وإيديولوجيتها في وقت مبكر إلى الدور الريادي الذي يمكن أن يقوم به الأنثروبولوجيون، فعملت الإدارات الاستعمارية على إرسالهم ضمن بعثات علمية أو إدارية أو دينية في مناطق مختلفة من العالم (سعيد، 2013، صفحة 35)

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية دعا الأنثروبولوجيون لجعل معلوماتهم الخاصة نافعة لقضية الولايات المتحدة الأمريكية والحلفاء، فأعاد الأنثروبولوجيون تشكيل المعلومات الأنثروبولوجية في كراسات، وكتيبات موجزة عن غينيا الجديدة، وشعوب جنوب شرق آسيا، والمياه في الغابات وفي الصحارى، وكيفية كسب عواطف المواطنين المعادين ودرس أنثروبولوجيون آخرون الخصائص الثقافية للأمم الرئيسية، المعادية والحليفة، لتقديم المعلومات لاتخاذ القرارات العسكرية، وكذلك للكتيبات الموجزة في كيفية فهم البريطانيين، ويعد كتاب الأفحوان والسيف لروث بيندكت عن الثقافة الوظيفية اليابانية من أفضل الانتاجات المعروفة في زمن الحرب. (بيلتو، 2010، صفحة 51)

لقد ارتبط تاريخ الأنثروبولوجيا بتاريخ الحركة الاستعمارية بصورة رهيبه... غير أنه وبفضل الوعي المعرفي لعدد من الأنثروبولوجيين الذين عملوا واجتهدوا كثيرا في تصحيح المسار المعرفي للأنثروبولوجيا وتوجيهها توجيهها علميا صحيحا يتمشى ومتطلبات الإنسان الجديد والحركة الاجتماعية والثقافية والعقائدية والسياسية والإقتصادية الجديدة... لقد تم توجيه البحث الأنثروبولوجي توجيهها جديدا وأوكلت إليه مهام بحثية جديدة يمكن استثمارها من أجل تنمية إنسانية شاملة. (سعيدى، 2013، صفحة 44)

ولما انتهت الحرب دعي الأنثروبولوجيون خلالين للعقد في إدارة مجتمعات الجز في جنوب شرق المحيط الهادي، وكانت لهم مهمة مزدوجة في السياسة الإدارية للمواطنين ومحاولة تفسير تقاليد المواطنين وردود أفعالهم للإداريين، وفي الغالب كانت معلومات الأنثروبولوجيين نافعة، ولكن شجرت مصاعب بسبب الاختلافات في وجهات النظر بين الإداري والأنثروبولوجي، وقد وصف هومر بارنيت بعض هذه المشكلات في كتاب الأنثروبولوجيا والإدارة. (بيلتو، 2010، صفحة 52)

وعلى هذا الأساس ينبغي للأنثروبولوجيا أن تستمر في ميدانها في بعدين: يجب أن تنجز دراسة عن التاريخ الخاص بالأنثروبولوجيا، وينبغي لها أن تركز ذاتها للدراسة الحاضرة لموضوعها. يعود هذا التغيير في دراستها لسببين: أما السبب الأول فمرده إلى الطلب الذي تعبر عنه من مختلف جوانب أحداث الساعة، وأما السبب الثاني فراجع إلى كونها استفذت كل ميادينها الأولى، وكل إمكانات النقد الذاتي الخاص بكل ميدان.

إن الحصيلة بالنسبة لمارك أوجي واضحة، فالأنثروبولوجيا ممكنة ليس هذا وحسب، ولكنها ضرورية، وذلك انطلاقا من تجربة ثلاثية: التعددية (تحليل على كل التنوعات وليس فقط الى تلك التي تحمل دلالة إضافية غرائبية، والمغايرة والهوية). ومن ثم سيكون موضوعه المركزي إذا ما يسميه الكاتب "المغايرة المزدوجة" أعني ما

يكون للآخرين من تصور عن الآخر، وعن الآخرين أيضا، وعليه يكون الرمزي موضوع أولا للأنثروبولوجيا (مسألة المغايرة عند الآخرين ومسألة المعنى). (أوجي، 2016، صفحة 11)

الأنثروبولوجيا ممكنة في وحدة وتنوع المعاصرة الحالية ليس هذا وحسب بل وضرورة أيضا، وهي كذلك لأن مسألة المعنى الاجتماعي هي حيثما كانت حاضرة حضورا واضحا أو ضمنا، وهي ممكنة شريطة أن تسمح لها تقاليدها المتميزة بالتفكير النقدي الذاتي، بالتكيف مع متغيرات التاريخ، وتغيرات على السلم المناسب معها، لأن تغيرات السلم هذه تؤثر في جميع جوانب الواقع الإمبريقي (سليمان، 2014)؛ الذي يلاحظه عالم الأنثروبولوجيا. (أوجي، 2016، صفحة 151)

يرى كليفورد جيرترز Clifford Geertz في الدين نظام رموز، يعمل بطريقة توقظ في الإنسان دوافع، وحالات قوة عميقة ومستمرة، يصاغ من خلالها مفاهيم ذات طابع عام عن الوجود، ومعطيا لهذه المفاهيم ظاهرا واقعيًا، لتبدو هذه الدوافع والأحوال مستندة فقط إلى الواقع.

ويتجلى أن للدين وظائف متعددة حددها الأنثروبولوجيون الذين عطفوا على مدارس الظواهر الدينية. وما لاحظوه أنه شارح، فهو يخفف من وطأة معرفة تجريبية لها أوجه نقصها، وهو كذلك منظم بسبب النظام الذي يفترضه، ويهدف إلى الحماية في الكون. وأنه ومؤمن يقلل الشعور بالخوف والتوتر النفسي إلى المستوى الذي يمكن احتماله بفضل الإيمان والأمل في العدل. وكذلك متكامل لفعاليته كآلية تحكم اجتماعية، ولا ارتباطه ليس فقط بأخلاق الاحترام والجزاء، ولكن لأنه أيضا أساس وحدة شعور المؤمنين. (ريفير، 2015، صفحة 37)

ثانيا: التربية والتعليم في زوايا الغرب الجزائري:

اهتمت الدراسات الأنثروبولوجيا بثقافة التربية وكيفية التعامل معها، وقد اهتم الباحثون الأنثروبولوجيون أيضا في دراساتهم للمجتمعات القديمة بالتنشئة الاجتماعية، وانتقال السلوك من فرد إلى آخر ومن جيل إلى آخر. وما توصلوا إليه في هذا الشأن ملاحظتهم عملية انتقال أو توريث السلوك بين الأجيال، فأشاروا إلى أن الثقافة تنتقل عند القبائل عن طريق المصاحبة أو المرافقة، وينطبق هذا الأمر على الزوايا الجزائرية بمختلف أشكالها.

تتعدد أنواع الزوايا في البيئة الجزائرية، فمنها من حيث الانتساب، زوايا المرابطين، للطلبة من أجل نشر العلم واستقبال البؤساء وعابري السبيل، أو مكان للزوار القادمين للتبرع والصدقة، وهي زوايا ليس لها طريقة

صوفية تتبعها أو مریدین تابعین، ويعمل فيها المرابطون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجهم. (جانب الله، السنة الثامنة 2013، صفحة 139)

إلى جانب زوايا الطرق الصوفية، وهي زاوية الطريقة الأم، أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، فيكون الشيخ هو المشرف، وتحت إمرته أتباع يقومون بتموين الزاوية، ويخلف في حالة وفاته عن طريق وصاية يتركها، أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة، وتمثل الزوايا المنسوبة نوعاً ثالثاً، وهي الزوايا المنسوبة إلى شيخ ميت تقدسه العامة، وتحب ذكره يكون مدفون بمقامها، وتتخذ العامة هذه المواقع مزارات للبركة لا للعلم.

إن حالة الزوايا في التعليم هي حالة معاهد التعليم العربي، فهي تسير على الأسلوب القديم بالابتداء بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف، فهي مناهج تقليدية بحتة منذ ظهور الزوايا، ويتسنى في ذلك التعليم المتعهد في نزر قليل من الزوايا مثل زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة وزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بمنطقة جرجرة وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة التي تميزت في دروسها العلمية بشكل تنظيم معصرن.

ويلاحظ بداية أن المنهج التربوي داخل مؤسسة الزاوية يسلك طورين الأول هو المنهج التعليمي، أما الثاني فهو المنهج الصوفي.

أما الجانب التعليمي فيتم عن طريق دراستهم لكتب الفقه ثم اللغة، فتفسير القرآن الكريم ثم شروح الحديث، فيدرس الطلبة العلوم الأولية بحفظ النصوص القرآنية، وهي مدونة على اللوح، وبعد حفظ القرآن يحصل الطالب على إجازة الشيخ، ثم يتحول الطالب إلى دراسة العلوم والمصنفات على يد العلماء، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب ابن عاشور الفقيه "الحجة"، وكتاب الإمام مالك في الفرائض، وغيرها، فيقرأها الطالب مرتين أو ثلاثة لينتقل بعد ذلك إلى كتب اللغة، فيقرأ الأجرومية، ثم ألفية ابن مالك، ويتدرج في المدارك والكتب على حسب فهمه وتمكنه. (بن لباد، 2009.2008، صفحة 168)

الطور الثاني يتحول فيه الطالب إلى العلوم الفقهية على يد شيخه عبر مصنفات مختلفة مثل رسالة أبي زيد القيرواني، وشرح منح الجليل على مختصر العلامة الخليل بن اسحاق، وفيه يتقن الطالب جميع التشريعات الفقهية.

إن هذا البرنامج التعليمي أو التدريسي الذي يسهر شيخ الزاوية على تقديمه للطلبة فيه مواضيع محصورة بين مسائل اللسان والقلب، فالمسائل النحوية يتعلمها حتى لا يقع في الخطأ ولتحسين الكلام، أما مسائل الفقه فهي من أجل التمييز بين ما هو حلال وحرام، ويتمكن من حل بعض المسائل الفقهية التي يختلف فيها الناس كالميراث.

إن هذه الطريقة تسمى القدرات التعليمية والحسية والذوقية عند الطالب، قبل الحصول على الإجازة. والملاحظ على مجمل الزوايا في الجزائر أنها تتبع في التعليم طريقة التلقين بالإملاء والإلقاء من جانب المعلمين والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين، فالمعلم هو الذي يد الدرس، وهو الذي يشرح، وهو الذي يحلل ما يحتاج إليه من التحليل، وما على المتعلمين إلا السمع والطاعة والتسليم بما يجيء في الدروس، والطلبة يجلسون في حلقات بمكان التعليم حول الشيخ كما كان جاريا به في الأزهر الشريف في الماضي القديم، وعندما يصل الطالب إلى درجة معينة من العلم يجزى ويتولى تدريس وتعليم من هم دون مستوى منه، كما أن مشايخ الزوايا يجرون رقابة على الكتب، وعلى مواد الدرس، ويتابعون عن كثب أطوار الحلقات. (جاب الله، السنة الثامنة 2013، صفحة 148)

أ. الزاوية العلوية:

وفي الوقت الذي بقيت فيه بعض الزوايا بالغرب الجزائري منغلقة على نفسها، تجتهد طرق تقليدية في الدرس، خاضت زوايا أخرى تجربة التحديث على مختلف الأصعدة كما هو مشهود في الزاوية العلوية بمستغانم التي سعت جهدها إلى الانفتاح الاجتماعي والثقافي، مما مكنتها من الانتشار الواسع والسريع والمكثف إلى أن تصبح اتجاهها عالميا يتواصل مع الاتجاهات الروحية والإنسانية الداعية إلى التعايش والوحدة، مما جعلها تتمركز الآن في قلب العالم الغربي الحديث، وقد ساهم العامل الروحي المعول عليه داخل الزاوية في إنتاج تصورات اندماجية غير انعزالية أو انسحابية لدى الفقراء النخبويين، كما كشفت الدراسة عن العلاقة الموجودة بين الترقية الروحية لدى الفقير العلوي النخبوي، والترقية الاجتماعية والثقافية. (غرس الله، 2003، صفحة 99)

وقد تنوع نشاط الزاوية في مجال التربية حيث اهتم شيوخ الطريقة بتربية أطفال الأحياء الشعبية بمدينة مستغانم ونشر الإسلام والإخاء في المجتمع لمحاربة العنف والإجرام "فبتعلم الأطفال كيفية احترام الطبيعة وعدم افساد

النباتات وحرقت الأشجار، كون هذه الأخيرة تسبح بحمد الله، فإذا تعلم الطفل كل هذه المبادئ تصبح كل أعماله متوجبة لإنقاذ الإنسانية وليس إهلاكها.

وقد تمكن الباحث عبد الحفيظ غرس الله بعد تسليطه الضوء على نظام هذه الزاوية من استكشاف أشكال جديدة من العقلانية والاستقلالية داخلها شبيهة بالإصلاح البروستانتى أوجده الجيل العلوي الجديد، جيل النخبة المثقفة التي يقودها وينظر لها الشيخ خالد بن تونس، وهو صاحب الإصلاحات داخل الزاوية، وتمثلت عناصر العقلانية والاستقلالية في ذلك التنظيم الجمعي الذي تأسس في نهاية القرن العشرين من قبل تلك النخبة، والذي يسعى جهده إلى عقلنة وظائف الزاوية من خلال إيجاد إطار تنظيمي لها محكوم بقواعد ومعايير لتوجيه فعل الزاوية في المجتمع.

ويتجلى ذلك أيضا في انجاز جمعيات تنتسب إلى الزاوية العلوية، وتتنصر لخطها الديني، فإلى جانب الجمعيات التقليدية التابعة لها التي ظهرت في العهد الاستعماري كجمعية العلمية، وجمعية الشبان العلويين التي تأسست سنة 1936، وجمعية التنوير التي اهتمت في عهد الشيخ ابن عليوه بإصلاح الزوايا وترميم المساجد وتأثيرها، أنشأت جمعيات تحديثية أخرى بعد الاستقلال مثل جمعية أحباب السلام التي أسسها الشيخ عدة بن تونس سخرها لنشر الدين الإسلامي خارج الديار الجزائرية بفرنسا وبلجيكا. (بن لباد، 2009.2008، صفحة 175)

وتعمل هذه الجمعية على نشر ثقافة الحوار مع الشعوب الأخرى ونشر الثقافة الروحية على الصعيد العالمي، كما تقيم المؤتمرات والمحاضرات خارج التراب الوطني، إلى جانب جمعية الشيخ العلوي للثقافة والتراث الصوفي التي أنشأت سنة 1990، ولها نشاط روحي مدعم بورشات لفرقة مسرحية وفرقة للإنشاد الديني، تشارك في مناسبات التضامن الاجتماعي وحفلات ختان الأطفال.

كذلك أنشأت جمعية أرض أوروبا التي مقرها باريس وهي تحاول تحديث وعصرنة طرق اقتناء التراث الإسلامي كما تعمل على استعمال الوسائل الحديثة وتسخيرها في نشر الإسلام، ويظهر جليا من خلال نشاط الزاوية العلمي أنها تعتمد على العصرنة والتحديث في نشر الأفكار الصوفية ومبادئها التربوية.

ب. الزاوية البلقايدية:

والدور العلمي ذاته وبشكل موسع خاضته الزاوية البلقايدية بسبدي معروف بوهران، التي دشنت منذ سنة 1998 على يد نجل الشيخ محمد بلقايد المعروف باسم محمد عبد اللطيف بلقايد، وأضحى يتوافد عليها

طلبة العلم من كل فج، يتلقون مختلف العلوم في الشريعة كالفقه والأصول ومصطلح الحديث، بالإضافة إلى علوم اللغة والسيرة وعلم التجويد، ويشترط للتدرج في هذه المراحل أولاً حفظ القرآن الكريم كاملاً، وقد أطلعنا بعض القائمين على الزاوية في زيارة ميدانية لنا بما على حجرات التدريس وحفظ القرآن، وهي عامرة بطلبة العلم والحفظة، لا يقطع أزيز حفظهم ومراجعتهم سوى الصلوات المكتوبة. (الزاوية أ.، 2020) يتولى تسيير هذه الزاوية مجلس إداري يتشكل من أساتذة ومشرفين تربويين وإداريين وأطباء (ق.هـ، 2018)؛ يعكفون على الأمور التنظيمية، وتهيئة ظروف عمل الزاوية حسب نظامها العام، وتضم هذه الزاوية 12 مدرسة قرآنية، ولها فروع ناهزت المئة منتشرة على المستوى الوطني، ولها مقرات أخرى بباريس والقاهرة، على أن القائمين عليها ممن تخرجوا من الزاوية الأم بوهران.

وتوجت الزاوية البلقايدية سلسلة نشاطها العلمي والتربوي بافتتاح مقر جديد لها بعاصمة الوطن بتقصرابين بئر خادم أضحت تعقد فيه ملتقيات عالمية من طراز رفيع، بعد أن كانت الملتقيات في مفهومها العام حكرًا على الميدان الجامعي، وتنوعت مجالات الملتقيات التي نظمتها الزاوية من أهمها ملتقى مصادر التشريع الإسلامي في الطبعة الثالثة عشر للدروس المحمدية الشهيرة، و كان أول ملتقى لا ينظم بالزاوية الأم بوهران، وقد استمر تنظيمه تسعة أيام عرف بمشاركة علماء ومفكرين مختلف الدول الإسلامية.

وقد تسنى لهذه الزاوية في إطار حرصها على تحديث العمل التربوي والتعليمي على تزويد الزوايا بمختلف الوسائل التكنولوجية الحديثة من قاعة للإعلام الآلي، ومكتبة الكترونية تضم 5000 مخطوط، ومخبر لترميم المخطوطات، كما اقتحمت عالم العالم الافتراضي عن طريق وضع قناة يوتيوب لبث الدروس المحمدية، وتأسيس صفحة فاييسوكية تنشر النشاطات الدينية والتربوية للزاوية، وهو العمل الذي قال عنه الشيخ أحمد معزوز المنسق العام للدروس المحمدية، والناطق الرسمي للزاوية البلقايدية، أنه يدخل في إطار مبادرة اجتذاب المواطن للزاوية بدل أن يذهب إليها (غريب، 2018)، وقد تجاوزت الزاوية البلقايدية بهذه الاجراءات التحديشية كل التوقعات، ورفعت من جودة العلم التربوي والتثقيفي الى مستوى عالمي.

وبلغت شهرة الدروس المحمدية التي تعقدتها الزاوية كل سنة في شهر رمضان مستوى منقطع النظير حيث كان يستمر الملتقى الواحد قرابة 15 يوم، وفي مجمل هذه الملتقيات المعقودة استطاعت الزاوية أن تستضيف 50 عالم ألقوا عشرات المحاضرات شاركت فيها عشر دول

إن تنامي التدين الوسطي، والتعليم التربوي الرصين لم يزد في الرصيد المعرفي لهذه الزاوية فقط، بل جعل الزاوية كما أشار منسقتها الوطني حصنا للمرجعية الدينية الوطنية، وهي عبارة كثيرا ما يجري تداولها بين المشتغلين بجمل التصوف في إشارة صريحة إلى أن الجانب التربوي والعلمي جعل الزاوية بعيدة عن التطرف حتى في أكثر الحقب دموية بالجزائر.

وبالتالي نستكشف أن بعض الزوايا في الغرب الجزائري قد سلكت مسلكا علميا فنيا حولها إلى منارات للتربية والتعليم، مما جعلها تتجاوز المفاهيم الطقوسية التقليدية التي قرمت دور الزوايا في مشاهد فلكورية جامدة، وهذا ما يدفعنا لبحث جانب الطقوسي الخصوصي في زوايا الغرب.

ثالثا: الطقوس الدينية في زوايا الغرب الجزائرية:

أشارت غالبية الدراسات التي اهتمت بنشأة الدين أن الاعتقاد الديني يتم وفق مسلكين، اعتقاد ديني رسمي يلتزم فيه الفرد بالأصول والنصوص وقواعد الشريعة ومبادئها وممارسة كل ذلك من خلال مؤسسات دينية في وضوح أمام الدولة أو النظام الرسمي للمجتمع، أما العناصر التي يتشكل منها الاسلام الرسمي فهي المؤسسة، والنص أو الكلمة، والشريعة، وفكرة التوحيد مقرونة بغيباب وسطاء بين المؤمن والله والتفسيرات الأصولية، والعلاقة الوثيقة بالسلطة المركزية الحاكمة، والمسجد والفقهاء. (بوغديري، 2014.2015، صفحة 117)

من الذين اهتموا بدراسة وتفسير النظم والممارسات الدينية الاجتماعية دور كايم، وتتجلى نظريته في أن الدين قضية اجتماعية وليست مسألة فردية، واعتبر الدين نظام قائما من المعتقدات المقدسة، وأن مشاركة المجتمع في تلك الممارسات ضمان لاستمرارية الشعائر، ومما طرحه دور كايم في هذا السياق كيف يمكن لتلك الأوامر الاجتماعية أن تتحقق خاصة وأن المجال الديني يعد من النظم الرئيسية داخل المجتمع، وقد ركزت نظرية دور كايم على الطابع الصوفي للفرد والجماعة في ممارسة الطقوس الدينية.

أما الاعتقاد غير الرسمي أو التدين الشعبي فهو المسلك الذي يدخل إليه الفرد مزودا بفكرة قبول تأويل الدين من خلال الرموز والصور الخاصة بالجماعة الدينية الصوفية التي تمنحه أيضا فكرة التدرج في علاقته بالله، بعيدا عن القواعد الأساسية أو الرسمية حيث يتم التعبد عن طريق الوجدان، والتعليم الروحية، وعن طريق وسيط تتجسد فيه صفات الصلاح والكرامات.

لقد تبلورت نظرية دوركايم في مؤلفه "الصور الأولية للحياة الدينية" حيث يرى أن بعض المظاهر والطقوس مثل تقديم الأضحيات والقرايين للأسلاف هي جزء من الدين (غامري، 1991، صفحة 127)؛ وهي من الأعمال المقدسة، ويرى أن تقديم الزعيم القرايين للآلهة لا يعتبر عملاً فردياً بل هو عمل جماعي ينوب به عن الجماعة، ومن هنا تأتي قيمة هذه الشعائر في كونها تمثل مدخلاً أساسياً لفهم المجتمع وإدراك تصوراتها. يكمن موضوع الدين من جانب، في إبراز القوى مثل (قوة الإله والعبقريات وقوة الطبيعة والتمايم والسلف والشياطين...) ومن جانب آخر في الأوساط المقدسة، حيث تخبأ القوى مثل (الحجر والشجر والمياه والحيوانات... إلخ).

ويعتبر الإنسان المقدس محل اهتمام الدين بكل تأكيد، على سبيل المثال، الملك والكاهن، والصديق، والساحر، ويهتم أيضاً بمجتمع العبادات (العشيرة، والكنيسة، والطائفة، والجماعة الدينية) وكذلك بالعناصر الروحانية في الإنسان (النفس، والقراء، والأرواح...).

ويهدف استخدام تعبيرات الخبرة الدينية إلى مقاصد نظرية (العقيدة والأساطير والمذاهب) وعملية (العبادات، والشعائر، والأعياد، والأعمال السحرية) وثقافية (المتغير طبقاً للمجالات، والأشكال الاقتصادية الحاكمة: دين المحارب، والتاجر والمزارع، وتاريخية بما أن هناك تغييرات تحدث في الحياة الدينية عبر العصور. (ريفيير، 2015، صفحة 36)

وإجمالاً فالشعيرة عبارة عن مجموعة من الأفعال المتكررة والمقننة والتي تكون غالباً وقورة ولها نظام تأديبة شفهي أو حركي ومحملة بالرمزية، وقائمة على الإيمان بالقوة الفعالة للقدرة العليا التي يحاول الإنسان أن يتصل بها بغرض الحصول على النتيجة المرجوة، وهناك بعض الممارسات الروحانية التي تعطي انطباعاً عن فوروية العلاقة بين قوى ما وراء الطبيعة وبين البشر كالوسطاء الروحانيين، وكالمس، وهناك طقوس غريبة قائمة على بعض القيم المرتبطة بخيارات اجتماعية مهمة، ولا تكشف فعاليتها المرجوة عن منطق اختياري بحت. (ريفيير، 2015، صفحة 150)

ومن ذلك الوعدة التي ظهرت كإحتفالية هامة ميزت الشعوب المغاربية، ولها تسميات شتى، فقد يطلق عليها البعض اسم الزردة أم المطعم أو الركب أو المعروف أو الموسم وهي على تعددها لكن معناها يبقى متقارباً إلى حد كبير، فهي طقس يقام على شرف الوالي الصالح لأجل طرد الشر وتحقيق الأمان والشفاء والنجاح وتقدم لها القرايين والأضاحي للتبرك والتمين.

وعلى الرغم من التحولات والتغيرات العنيفة التي أصابت الجماعات القبلية التي فككها المجتمع وآليات التحديث، لا تزال الكثير منها تحافظ على نفسها من خلال لجوئها إلى إحياء هذه الطقوس بشكل دوري ومنتظم لتعيد من خلالها معالم هويتها وترسم آفاق استمراريتها.

وفي المخيال الشعبي المحلي لا يوجد فصل بين الدين الرسمي والتدين الشعبي، فهو يرى أن ممارساته لهذا الطقس هي من الاسلام، وبالتالي فاستمرارية الظاهرة حسب فهمهم هي من صميم التوجه الديني العام والصحيح. (شلي، 2008، صفحة 20)

ويعد التدين الشعبي محصلة لتكيف تاريخي بنائي متبادل بين الرسالة الدينية بما تحويه من عقائد وعبادات ومعاملات وطقوس من جهة، والهياكل والأبنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع من جهة ثانية، وكانت محصلة هذا التكيف جملة من الظواهر الاجتماعية البشرية المتغيرة من مكان لآخر ومن زمان لآخر، وهي في مجموعها ليست من الدين الإلهي بشيء سواء، كانت موافقة لثوابت هذا الدين أو مخالفة له، وتكون في هذا النمط من التدين بصدد الدين كما يعاش وكما يمارسه الناس في حياتهم اليومية، بما يتعارفون عليه خلال هذه الممارسات من رؤى وتصورات وأعراف وتقاليد ألحقها بالدين وهي ليست منه.

ومن ذلك عدة أولاد نهار المشهورة بسبدو، التي تقام على شرف وليها الصالح سيدي بن يحيى، وأضحى ضريحه بما مزارا للزيارة والتبرك، بحيث تعقد عليه القبيلة احتفالا سنويا يسمى وعدة سيدي يحيى بن صفة من كل خريف، يجتمع خلاله أولاد نهار وغيرهم ويضربون ما خف من بيوتهم قرب ضريحه لمدة ثلاثة أيام يكلامون فيها الضيوف، ويقدمون الولائم والذبائح، توحد فيه الآراء وتحل الخلافات وتستعرض القبيلة فلكلورها، وتبرز محليتها ومميزاتها عبر لعبة العلاوي والبارود والفروسية، وتلتقي جموع الذر والمذاكرة، فيعاد إحياء مناقب الصالحين.

وقد أعد الباحث بوشمة الهادي دراسة أنثروبولوجيا هامة حول هذه الوعدة باحثا بالملاحظة عن طريق المشاركة خلفيات وماورثيات هذه الطقوس المتجذرة في المجتمع الجزائري التي تعد على حد قوله تعبيرا بشريا رافق السيرورة الانسانية الاكتشافية والتكيفية أو الترويضية التقريبية والتعبدية للطبيعة، ومن ثم الطوعم الذي رافق التشكل البشري الأول في معالمه وخص جانبه الروحي. (بوشمة، 2008، صفحة 39.40)

ومن بين النتائج المتوصل إليها في هذا السياق أن الوعدة ممارسة طقوسية تحمل في أعطافها نوعا من الاشباع لحاجات روحية وسيكولوجية ومادية، فإبراء المرض من خلال طقس الزيارة، والتخلص من سوء الطالع

والسياحة الدينية والترفيهية عوامل معبرة عن التواصل المتين بين المضروح وأتباعه من خلال طقس الوعدة، مع محاولة تجاوز اغترابات الوضع الاجتماعي والاقتصادي الى البحث عن بديله في ثنايا الأضرحة واحتفالياتها لأجل تحقيق نوع من الطمأنينة والراحة والفرج، والتخفيف من ضغوطات الحياة المضنية خاصة على الفئات الهشة.

ويتجلى أيضا من خلال ذلك أن الطرق الصوفية هي الإطار التنظيمي والعقائدي للتدين الإسلامي الشعبي، وبالرغم أنها كانت ولا تزال تنظيمات موازية وأحيانا متحدية للتدين الرسمي المؤسسي، إلا أنها لم تطرح نفسها كبديل لهذا النمط من التدين، بقدر ما كانت ردة فعل شعبية لتصلب السلطة الدينية الرسمية وتسليطها على المجتمع بكامله وصارت هذه الطرق وعاء تاريخيا اجتماعيا دينيا يحتوي كل الطقوس والمعتقدات الأسطورية قبل الإسلام (شلي، 2008، صفحة 43)، ولا نوافق طرح شلي في كل الأحوال، ففي البيئة الجزائرية مثلا نرى بجلاء تظافرا شبه كلي بين الدين الشعبي والرسمي، حيث لا يوجد ما يسميه بالتصلب والتسلط بل نرى تعايشا سلميا بين الطرق الصوفية والسلطة.

وعن طريق الملاحظة بالمشاركة أجريننا تتبع ميداني لوعدة سيدي محمد بن عودة بغليزان على مدار العامين أي في مناسبتين سنويتين التي يرتد تاريخ تنظيمها إلى ما يناهز الأربعة قرون، ومن الملاحظات البارزة قبيل انعقاد الوعدة قيام عروش قبيلة فليطة البالغ عددهم 25 عرش بوضع خيمة الوبر مع تنافس شديد بين عروش القبيلة أثناء وضع أعمدة الخيمة إبان نصبها.

وتضم هذه الوعدة على غرار ما تشهده وحدات الغرب الجزائري مأدبة جماعية بأطباق الكسكسي، مجالسا لحفظة القرآن لسماع التلاوات الجماعية، ولقاءات لفك النزاعات المحتملة بين بعض الأطراف بسوق الريح. إلى جانب استعراضات الفرسان وحيولهم المطهمة.

وتسبق هذه الوعدة المميّزة طقوس قبلية حيث يجند فرقة من الرجال بحمل عمود يطلقون عليه تسمية الركيزة يجوبون به الأحياء والقرى عند انعقاد الأسواق الأسبوعية من أجل التبشير بموعد الوعدة، ويصاحب ذلك أجواء من الفرح والحبور والتهاليل مدعومة بالآلات موسيقية تقليدية ترافق الموكب، وتشد هذه الممارسة القبلية الحضور بشكل لا يقل جذبا من الوعدة، وتستغل هذه الطريقة للإشهار للوعدة وكذلك لجمع التبرعات المالية للتحضير للاحتفالية الموعودة.

وبعد اطعام الطعام يقوم الحاضرون بزيارة معلم حجر الباز يقع بجبل صخري يصعدون إليه تسلقا، يمرون على ما تعارفوا بتسميته بالحجرة الباكية، ومن ثم ينتقلون إلى قبة الولي الصالح القائمة في أعلى الجبل، ومن الطقوس المشاهدة أيضا وجود منبع مالح يغتسل فيه الزوار تبركا وتيمنا وبعد الوضوء به ينتقلون إلى مغارة لترتيل القرآن الكريم.

يرى الباحث أن إضفاء صفة القداسة على بعض الأماكن يدل على أن التصوف قد اخترق مفهوم الأماكن المقدسة، واستحدث الاحترام والإجلال والتقدير للمكان المسمى الضريح وأصبح الولي وحتى الضريح يحمي ويدافع عن المظلوم وينتقم من مدنسه، ويمنح بركته لمن يقده ويحترمه، فهو وما حوله في المعتقد الشعبي مكان مقدس ذو بعد روحي مهيب، لا يتخلف في قداسته عن بعض الأماكن الدينية الأخرى، وربما يتجاوزها في اللاوعي الجمعي. (بوغديري، 2015.2014، صفحة 132)

ومن الوعدات التي تابعتها عن كتب وعدة الولي الصالح سيدي بوعبدالله بمدينة وادي ارهيو بغليزان، تنظم في الخريف من كل سنة يتم اعداد مآدبة على شرف الولي، ويقدم أحفاد الولي بنصب خيمة بالمناسبة وتلاوة القرآن جماعيا مع وصلات للشعر الملحون.

ومن الطقوس الملاحظة بالمكان زيارة الوافدين لضريح الولي، مع وجود ضريح آخر لاحدى زوجاته بالمنطقة، نزولا إلى الوادي الصغير أسفل المقبرة حيث يقدم بعض النسوة بربط أقمشة على الأشجار القائمة على ضفاف الوادي للتبرك، واستجلاب الحظ، و تبقى قبة الولي الصالح مفتوحة على مدار العام للزيارة. وعلى غرار الكثير من الوعدات تشهد هذه المناسبة عروضاً للخيول.

والملاحظ أن الأعيان والشيوخ يتكفلون بتنظيم مثل هذه الوعدات مع تسطير وضبط برنامج الموسم الذي يعرف ذروته خلال فصل الخريف، وطيلة فترة الحرث والبذر حيث ترتبط الوعدة ببداية المواسم الفلاحية، ويتم تحديد موعد هذه المناسبة في كل جهة ويتكفل بالتحضر له بشكل أساسي أولئك الذين تمتد أصولهم وجذورهم إلى أحد الأولياء الصالحين، ومن الذين ينتسبون إليه، ليتفقوا على البرنامج النهائي، والمتمثل أساسا في ترسيم تاريخ وموعد كل وعدة على أن لا يتزامن الاحتفال بأكثر من وعدتين في وقت واحد، وتجمع المواسم بين الحفلات الدينية وبين المهرجانات التجارية في آن واحد مما يجعلها فرصة للاجتماع ومشاطرة هويتها الثقافية.

إن استمرارية طقوس الوعدة في العصر الحالي يفهم منه سعي إلى إعادة تشكيل المفكك اجتماعيا وثقافيا وتجديد اللحمة القرابية من خلال استمرارية القبيلة ككيان وفاعل اجتماعي وثقافي لم ينته من أجل حماية العرش في بعده الاجتماعي والثقافي والمجالي.

والتصنيفات غالبا ما تكون مقسمة بطريقة ثنائية: شعيرة احتفالية أو منزلية، دينية أو سحرية، حركية أو شفوية، عرضية أو دورية، ويفرق موس mauss بين الشعائر الإيجابية ذات الأفعال التي تتطلب المشاركة كالصلاة والقران والتضحية، وبين الشعائر السلبية كحظر الجماع والغذاء كالصيام والتكشف التي تنهى الشعائر عن الاتصال بأي قوى خطيرة، وأضاف دور كايم إلى تلك الطقوس الشعائر المكفرة القائمة على الاستغفار والتطهير التي تهدف إلى التحرر من الآثام المعدية أو طردها وكذلك الشعائر المتعلقة بإعداد التعاويذ التي هي عبارة عن ممارسات تحمي من الأرواح الشريرة. (ريفير، 2015، صفحة 155)

ومن هنا يتضح أن الدين الشعبي له جملة من الخصائص لا تخلو من الجوانب الاسترضائية، والتي تبتعد عن حرفية النص المكتوب، ويعرف بأنه دين الطبقات الشعبية، ويعد التدين الشعبي أداة من أدوات العوام لحل المشكلات التي تواجههم بطريقة ذاتية، فالتدين الشعبي هو وسيلة لإشباع بعض الاحتياجات الاجتماعية غير المحققة في الواقع الاجتماعي، فالدين غير الرسمي هو ظاهرة جماعية موجهة نحو المقدس وما فوق الطبيعي، أي أن التدين الشعبي قد تمت صياغته في ضوء ارتباطه بالمروراث الثقافية (ابراهيم، 1967، صفحة 120)؛ بغض النظر عما إذا كانت تلك المروراث الثقافية العقائدية دينية أو سحرية، وما يرتبط بها من طقوس وممارسات وشعائر.

ويثبت جليا أن طقس الوعدة من الاحتفاليات الكرنفالية المكملة للدور الاجتماعي الذي تقوم به الزاوية، وهي بقية من بقايا الدين التقليدي الشعبي الذي لا يزال يسيطر على توجه العامة، ويتخالف أحيانا مع الوظيفة العلمية التي تؤديها بعض الطرق.

خاتمة:

ومن النتائج المتوصل إليها في هذا السياق:

- إن المنهج الأنثروبولوجي من أنسب المناهج لدراسة الجماعات خاصة الجماعات الدينية نظرا لقدرته على التوغل والملاحظة بالمشاركة مما يمكنه من حيازة نتائج هامة ومؤثرة على الصعيد العلمي والثقافي، وإن

كان قد بدأ متأثراً بالظاهرة الاستعمارية إلا أنه استطاع أن ينفصل عنها، ويشكل لنفسه منهجا موضوعيا يعنى بالظواهر الانسانية مما خلق له مناعة حيوية بعيدا عن إرهاط الضغط أو أصحاب الميول الاستعمارية. - استطاعت بعض زوايا الغرب الجزائري أن تتحول إلى منارات للعلم والفكر والثقافة وأن تنخرط في سلسلة من التحديثات المستمرة، بتأسيس فروع لها في ربوع مختلفة من الوطن والعالم، وتقديم دروس نوعية وعقد مؤتمرات عالمية، فأضحت مثلا يجب أن تحتذيه مختلف الزوايا التي لا زالت تركز إلى التقليد، ومن أهم هذه الزوايا التي جسدت الدور بإحكام الزاوية العلوية بمستغانم، والزاوية البلقايدية بتلمسان ووهران. - لا تزال بعض الزوايا في الغرب الجزائري تمارس الطقوسي وتحرص عليه كل سنة مجسدة في الوعدات التي تعقد على طريقتها البدائية التقليدية، بزيارة الأضرحة والتبرك بها، والذبح، وعقد الولائم، وهي على تقليديتها وعفويتها يمكن أن تكشف عن مدى الالتحام والتعاون والتضامن القائم بين شرائح المجتمع في محاولة لاستعادة لحمة القبيلة التي كان لها دور في فك النزاعات، وحل المشاكل الاجتماعية إلى حد ما.

قائمة المراجع: ^{ت2}تبع

- قائمة المراجع:

1. بيرتي ج بيلتو: دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ تر كاظم سعد الدين بيت الحكمة بغداد 2010
2. توماس هايلاند ايركسون، فين سيفرت نيلسون، تاريخ النظرية الأنثروبولوجية، تر لاهاي عبد الحسين، منشورات الاختلاف، ط1، 2013.
3. حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، منشورات عالم المعرفة الكويت، 1986.
4. سعدي محمد: الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها دار الخلدونية الجزائر، 2013.

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) (المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15)

ISSN/2353-0197

EISSN/2676-2102

5. شلبي عبد الله: التدين الشعبي لفقراء الخضر، مركز مصر المحروسة مصر ط1، 2008
6. عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) منشورات إتحاد كتاب العرب دمشق 2004.
7. كلود ريفير: الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، تر أسامة نبيل، ط1 المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015
8. مارك أوجي: أنثروبولوجيا العوالم المعاصرة، تر طواهري ميلود، ط1 ابن النديم، الجزائر 2016
9. موسى معيرش: مدخل في الأنثروبولوجيا العامة، منشورات الوطن سطيف، 2017.
10. محمد حسن غامري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991
11. نبيلة ابراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية و التطبيق، مصر 1967، مكتبة القاهرة الحديثة

الرسائل الجامعية:

1. بوغديري كمال: الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة الصوفية نموذجاً دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه علم الاجتماع جامعة سطيف 2015.2014.
 2. بن لباد الغالي: الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة أنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان قسم الثقافة الشعبية، 2009.2008
- المقالات:
1. بوشمة الهادي: الوعدة التمثل والممارسة، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار مجلة انسانيات، 2008.83.101، ص:39.40
 2. جاب الله طيب: دور الطرق والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة معارف عدد 14، السنة الثامنة أكتوبر 2013، ص:139.
 3. غرس الله عبد الحفيظ: المؤسسة التقليدية والتحديث، الزاوية العلوية نموذجاً، مجلة انسانيات عددان 19.20 جانفي جوان 2003، ص99.106.